مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته و مراعاة حال السامع

المرحلة الثانية / قسم الاعلام

هي احدى مميزات اللغة العربية التي تجعلك تقول المعنى الواحد بعدة طرائق و كلمات كثيرة , و قد تكون كل الجمل تدل على المعنى نفسه و لكن بدرجات متفاوتة فالشمس تشرق , و تبكر , و تغدو , و تضحى , وتهاجر , وتظهر , وتقصر حتى تصل للاصيل .

في حالة انك تسأل عن العلم الذي يقوم بمطابقة الكلام لمقتضى الحال فالا جابة الصحيحة هو علم البلاغة . فعلم البلاغة قد تميز به العرب على مر التاريخ و بان ذلك في اشعارهم و قصائدهم و خطبهم . فقد اختاروا الكلمات المناسبة و الاساليب المتميزة , والمعاني الصائبة , و اختاروا مواقع الالفاظ و ترتيبها بحسب مواطن الكلام و هذا هو علم البلاغة .

تعريف البلاغة : نقسم تعريف البلاغة الى شقين الاول هو الشق اللغوي فالبلا غة في اللغة (الوصول و الانتهاء) . يقال بلغ زيدٌ مراده - اذا وصل اليه , و بلغ الركب المدينة - اذا انتهى اليها , و بلغ الشئ منتهاه .

فالبلاغة تعني بلوغ الشيء فهي مشتقة من الفعل بلغ وهو وصول الشيء و الا نتهاء منه , فالشخص البليغ يعرف كيف يتكلم , و ينتقي كلماته بتمعن .

اما البلاغة اصطلاحا" فهي مطابقة الكلام لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة الفاظه (مفردها و مركبها) .

و الكلام البليغ : هو الذي يصوره المتكلم بصورة تناسب احوال المخاطبين و ح ال الخطاب " و يسمى المقام " هو الامر الحامل للمتكلم على ان يورد عبارته على صورة مخصوصة من دون اخرى , و المقتضى _ و يسمى " الاعتبار المناسب " هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة . مثلا - المدح - ح ال يدعو لايراد العبارة على صورة الاطناب , و ذكاء المخاطب - حال يدعو لا يرادها على صورة الايجاز , فكل من الاطناب و الايجاز " مطابقة للمقتضى " . فليست البلاغة اذا" منحصرة في ايجاد معان جليلة , و لا في اختيار الفاظ واضحة جزيلة . بل هي تتناول مع هذين الامرين امرا" ثالثا " هو ايجاد اساليب مناسبة للتأليف بين تلك المعاني و الالفاظ مما يكسبها قوة وجمالا" .

تعديل من خلال WPS Office

و مقتضى الحال – هو ما يدعو اليه الامر الواقع . اي ما يستلزمه مقام الكلام و احوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص . و لن يطابق الحال الا اذا كان على وفق عقول المخاطبين , و عدّ طبقاتهم في البلاغة , و قوتهم في البيان و المنطق .

فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه , و الغرض الذي يبنى له , و لسراة القوم والعلماء فن آخر لا يسد مسده سواه – من اجل ذلك كانت مراتب البلا غة متفاوتة بقدر تفاوت الاعتبارات و المقتضيات .

نشأ علم البلاغة على يد العرب القدامى الذين كانت لغتهم العربية اقوى بكثير من الوقت الحاضر , و تأسس هذا العلم على يد عبد القاهر الجرجاني اذ وضع كتاب دلائل الاعجاز و اسرار البلاغة .

بلاغة الكلام

ذكر البلاغيون في تعريف بلاغة الكلام بقولهم: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته. ويقصد بالحال: الأمر الذي يدفع المتكلم إلى أن يعتبر في كلامه خصوصية ما.

ومقتضى الحال: تلك الخصوصية التي اعتبرت في كلام المتكلم.

أما مطابقة الكلام لمقتضى الحال: فهي مجيء الكلام مشتملا على تلك الخصوصية التي اقتضاها الحال، ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، ومقام خطاب الذكي يباين مقام خطاب الغبي، فالاعتبار المناسب هو: مقتضى الحال، فقولك: "**إن إلهكم لواحد**" خطاب لمن ينكر هذا الأمر، فإنكار المخاطب لكون الإله واحدا يسمى حالا ً، إذ إنك أتيت بشيء زائد على المعنى وهو التأكيد ليزيل إنكار المخاطب.

أما مقتضى الحال في المثال فهو: صورة التأكيد:(إن واللام) وهي التي استدعاها الحال، وأما مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهو: مجيء الكلام على هذه الصورة.

وعلى هذا فكل حال لها مقتضى، فخلو ذهن المخاطب: حال يقتضى خلو الكلام من التأكيد، وإنكار المخاطب: حال يقتضى التأكيد، وهكذا.

ويشترط في بلاغة الكلام كما يقول البلاغيون: سلامته من العيوب المخلة بفصاحته، وعلى هذا فكل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغاً.

بلاغة المتكلم : يقول البلاغيون: إن بلاغة المتكلم: ملكة كائنة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، وتكتسب هذه الملكة من كثرة القراءة والإطلاع والتأمل

تعديل من خلال WPS Office

والإدراك، بالإضافة إلى ذوق المتكلم وطبعه وذكائه، ليكون قادراً على التأليف وا لابتكار، وحينئذ يقال له: متكلم بليغ.
أولا: إفادة الكلام القصر لأن المقام يقتضيه، وقد مثل قوله تعالى: (**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**)(الانعام 59) ، فقد تقدم فيه المسند: (**وعِنْدَه**)، على المسند إليه: (**مَفَاتِحُ الْغَيْبِ**) وقد أفاد هذا التقديم أن مفاتح الغيب عنده وحده، وليست عند غيره، فلا يشاركه أحد فيها، ومثلها قوله تعالى: (**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**) **الرعد 39**، وكذلك قوله تعالى: (**وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) **الزخرف 85** فمفاتح الغيب ثابتة لله ، ومنفية عن كل ما عداه، فهو: (**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**).
وفى النص الكريم قصر ثان، وهو قوله تعالى: (**لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**) فقد أثبت العلم لله ، وفى الوقت نفسه نفاه عن كل ما عداه.
ثانيا : التوكيد بالنظر فيه إلى حال المخاطب كقول الله تعالى: **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (يس)** فبعد تأمل تلاحظ أن خطاب الرسل لأصحاب القرية جاء مؤكداً في الصورة الأولى بإن واسمية الجملة (**إنا إليكم مرسلون**) لأنهم منكرون لرسالتهم
وقد يكون داعي التوكيد : رغبة المتكلم في تقوية مضمون الكلام عند مخاطبه وتقريره في نفسه وإن كان غير منكر للخبر، ومنه جاء قوله تعالي: **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**

تعديل من خلال WPS Office